الرسالة

(كولوسي ٣: ٤-١١)

يا إخوةُ متى ظهرَ المسيحُ الذي هو حياتُنا فأنتم أيضاً تظهَرون حينئذٍ معه في المجد* فأميتوا أعضاءَكم التي على الأرضِ الزِّنى والنجاسةَ والهوى والشهوةَ الرديئةَ والطمعَ الذي هو عبادةُ وثَنٍ* لأنَّه لأجلِ هذه يأتي غضبُ الله على أبناءِ العِصيان* وفي هذه أنتم أيضاً سلَكتُم حيناً إذ كنتم عائشين فيها* أمَّا الآن فأنتم أيضاً اطرَحوا الكلَّ الغضبَ والسُخطَ والخُبْثَ والتجديفَ والكلامَ القبيحَ من أفواهِكم* ولا يكذِبْ بعضُكم بعضاً بل اخلَعوا الإنسانَ العتيقَ مع أعماله* والبَسوا الإنسانَ الجديدَ الذي يتجدَّدُ للمعرفةِ على صورةِ خالقِهِ* حيثُ ليس يونانيٌّ ولا يهوديٌّ لا خِتانٌ ولا قَلَفٌ لا بربريٌّ ولا إسكيثيٌّ لا عبدٌ ولا حرٌّ بلِ المسيحُ هو كلُّ شيءٍ وفي الجميع.

القدّيس إغناطيوس الأنطاكيّ

أمطر الله على كنيستنا الأنطاكيّة المقدّسة فيض نِعَمه، إذ بعدما «دُعي التلاميذ مسيحيّين في أنطاكية أوّلًا» (أع ١١: ٢٦)، أنعمَ عليها بأسقف عظيم هو القدّيس إغناطيوس الأنطاكيّ المتوّشح بالله الذي نعيّد له في ٢٠ كانون الأوّل. يشتقّ إسم إغناطيوس من كلمة لاتينيّة تعني «المشتعل»، وهذا تحديدًا ما ميّز سيرة قدّيسنا الذي اشتعل بالله وامتلأ من نار الروح القدس. عاش في القرن الميلاديّ الأوّل، ويقول التقليد إنّ الرسول بطرس سامه أوّل أسقف على مدينة الله أنطاكيا العُظمى، وقد استشهد في روما مطلعَ القرن الثاني، ويعتقد المؤرّخون الكنسيّون أنّ انتقاله حدث عام ١٠٧ على عهد الإمبراطور ترايانوس. يرد في سيرته الشريفة، التي نقلها تلميذاه، الشمّاس فيلون وأغاثوبوس، اللّذان رافقاه في أسره، أنّ القدّيس إغناطيوس قال عندما لفظ الإمبراطور حكمَ إعدامه: «أشكرك، ربّي، لأنّك أهّلتني للكرامة إذ أنعمت عليّ بعربون المحبّة الكاملة لك وأن أُقيّد بسلاسل من حديد، أسوة برسولك بولس، من أجلك».

أمّا تسميته «المتوّشح بالله» فتعود لسببين حسبَ التقليد: يتحدّث سمعان المترجم وآخرون غيره عن الولد الذي أخذه الرّبّ يسوع بين ذراعيه قائلًا: «من وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الأعظم في ملكوت السموات. ومن قبل ولدًا واحدًا مثل هذا باسمي فقد قَبلَني» (مت ١٨: ٤-٥)، ويقولون إنّ الولد هو القدّيس إغناطيوس. أمّا السبب الثاني فيعود إلى أنّ القدّيس يدعو نفسه «الحامل الإله» أو «المتوّشح بالله»، ومحضر المحاكمة الذي حفظته أعمالُ استشهاده يتضمّن معنى كونه حاملًا للإله: «كلّ مَن يؤمن بالله وبأنّ المسيح يسوع هو ابن الله، ويعمل الصلاح لأجل الله وحبًّا بالله يحمل الله في قلبه... وأنا أحمل الله في قلبي لأنّ المسيح، جلّ اسمه، هو قال لنا: مَن كانت عنده وصاياي وحفظها فهو الذي يحبّني

العدد ٢٠١٨/٥٠
الأحد ١٦ كانون الأول
أحد الأجداد
تذكار النبي حجاي
والقديسة ثاوفانيس الملكة
اللحن الرابع
إنجيل السَحَر السابع

والذي يحبّني يحبّه أبي، وإليه نأتي، وعنده نجعل مقامنا».

كتب القدّيس إغناطيوس سبعة رسائل، واحدة إلى تلميذه القدّيس بوليكربوس أسقف إزمير، والباقية موجّهة إلى كلّ من أهل أفسس ومغنيسية وترالييان وروميه وفيلادلفيا وإزمير. يتناول القدّيس في رسائله عددًا من المواضيع اللاهوتيّة والرعائيّة والليتورجيّة منها: مركزيّة الأسقف والإكليروس في الكنيسة ووجوب تكريمهم، محوريّة سرّ الإفخارستيّة، حقيقة تجسّد المسيح، وإتحاد الطبيعتين الإلهية والبشرية في المسيح، الإستشهاد وماهيّة الموت في الحياة المسيحيّة...

إنشغل القدّيس إغناطيوس بالموضوع الأوّل، أي مركزيّة الأسقف، لأنّ كثيرين اعتقدوا أنّه من غير الضروريّ أن يشتركوا في الإفخارستيّا التي يقيمها الأسقف المحلّي، تاليًا فإنّهم شكّوا وتردّدوا في قبول فرادة مسؤوليّة الأسقف المحلّي المطلقة، وأقدموا على تكوين جماعات تقسّم الكنيسة، وإقامة قداديس خاصّة بهم. هكذا، كان يمكن أن يصبح الأسقف وخدمته الرعويّة في الكنيسة خدمة ظاهريّة بلا أساس لاهوتيّ. واجه القدّيس إغناطيوس هذه المشكلة بطريقة جذريّة ولاهوتيّة بتوضيح ارتباط شرعيّة الإفخارستيّا بالأسقف الـ«مرتبط» بالمسيح، وعليه يجب أن يرتبط المؤمنون بالأسقف. لا يمكن لأحد أن يقوم بدور الأسقف في الكنيسة، ذلك لأنّه يعمل فيها كممثّل لله، لأنّه «مثلٌ للآب» (ترالييان ٣:١) وهو استمرارٌ لعمل الرّبّ والرسل. من هنا قال قدّيسنا عبارته الشهيرة: «حيث الأسقف هناك يجب أن تكون الجماعة، كما أنّه حيث المسيح هناك تكون الكنيسة الجامعة».

يعتبر القدّيس إغناطيوس أنّ الكنيسة هي صورة منظورة ونموذج لملكوت الله الأبديّ غير المنظور: «إفعلوا كلّ شيء تحت رئاسة أسقفكم كرمز لله والقسوس كرمز لمجمع الرسل والشمامسة كمؤتمنين على خدمة يسوع المسيح، الذي إذ هو مولود من الآب قبل الدهور، فهو الله الكلمة، الإبن وحيد الجنس، ويظلّ كما هو إلى الأبد، لأنّه ليس لملكه نهاية. لا تدعوا شيئًا ينسل إلى داخلكم ليفرّقكم، بل اتّحدوا مع أسقفكم ورؤسائكم وليكن اتّحادكم رمزًا وأمثولةً للخلود» (مغنيسية ٦).

أمّا أجمل ما قاله القدّيس إغناطيوس فنجده في رسالته إلى روميه حيث قال: «إنّني ذاهب بملء رضاي إلى الموت لأجل الله، راجيًا ألاّ تقفوا عائقًا في سبيلي. أتوسّل إليكم ألاّ تكون شفقتكم في غير وقتها المناسب. دعوا الوحوش تأكلني لأنّي عن طريقها سأصل إلى الله، أنا حنطة لله لأُطحن تحت أنيابها لأصبح خبزًا نقيًّا للمسيح. هيّجوا هذه الوحوش الضارية لتكون ضريحي، ولا تترك شيئًا من جسدي لئلّا أُثقل على أحد في رقادي الأخير. حينئذٍ أصبح تلميذًا حقيقيًّا ليسوع المسيح عندما لا يرى العالم جسدي. صلّوا إلى المسيح لأجلي حتّى أغدو بفضل الوحوش الضارية ضحيّة إلهيّة. لا آمركم مثل بطرس وبولس، فهما رسولان وأنا محكوم عليّ بالموت، هما طليقان، وأنا عبد أسير. لكن إذا تألّمت، أعتقني يسوع المسيح، وفيه سأقوم حرًّا. أمّا الآن فقد تعلّمت ألاّ أشتهي شيئًا».

الإنجيل

(لوقا ١٤: ١٦–٢٤)

قال الربُّ هذا المَثَل. إنسانٌ صنع عشاءً عظيماً ودعا كثيرين* فأرسلَ عبدَهُ في ساعةِ العشاءِ يقول للمدعوّين تعالوا فإنَّ كلَّ شيءٍ قد أُعِدَّ* فطفِقَ كلُّهم واحدٌ فواحدٌ يَستعفون. فقال له الأولُ قدِ اشتريتُ حقلاً ولا بدَّ لي أن أخرجَ وأنظرَهُ فأسألك أن تُعفِيَني* وقال الآخرُ قد اشتريتُ خمسةَ فدادينِ بقرٍ وأنا ماضٍ لأُجرِّبَها فأسألك أن تُعفِيَني* وقال الآخرُ قد تزوَّجتُ امرأةً فلذلك لا أستطيعُ أن أجيءَ* فأتى العبدُ وأخبر سيِّدَهُ بذلك* فحينئذٍ غضِبَ ربُّ البيتِ وقال لعبده اخرُجْ سريعاً إلى شوارعِ المدينةِ وأزقَّتها وأدخِلِ المساكينَ والجدعَ والعميانَ والعُرْجَ إلى ههنا* فقال العبدُ يا سيِّدُ قد قُضِيَ ما أمرتَ به ويبقى أيضاً محلٌّ* فقال السيِّدُ للعبد اخرُج إلى الطُّرقِ والأسيجةِ واضطَّرِرهم إلى الدخولِ حتى يمتلئَ بيتي* فإنّي أقول لكم إنَّه لا يذوقُ عشائي أحدٌ من أولئك الرجالِ المدعوين. لأن المدعوين كثيرون والمختارين قليلون.

تأمل

«إطرحوا الكل، الغضب والسخط والخبث».

قال الراعي: «اسمع ما هي نتائج الغضب وكم هو رديء، وكيف تُفسد قدرتُه خدّامي وتصرفهم عن البّر. صحيح أنه لا يحوّل مَن هم ثابتون في الإيمان ولا يستطيع شيئاً ضدّهم لأن قدرتي معهم، إنما هو يضلّل الناس الفارغين من الإيمان والمترددين. عندما يرى هؤلاء الناس هادئين فإنه يتسرّب إلى قلوبهم، عندئذ يحتدّ الرجل أو المرأة لأتفه الأشياء المتعلّقة بالحياة اليومية بسبب طعام أو مشاجرة أو صديق، أو هدية قدّمت أو أية حماقة أخرى. كل ذلك باطل ينطوي على الحماقة والجنون ويضرّ بخدام الله، أما الصبر فله عظمته وقوّته ونشاطه الشديد المتين الذي ينتشر بشكل واسع. إنه مَرِحٌ فَرِحٌ لا همّ له، وهو يمجّد الرب في كل سانحة (طو ٤: ١٩؛ مز ٣٤: ٢) لا مرارة فيه ويظلّ هادئاً وديعاً. هذا الصبر يسكن في الذين إيمانهم كامل. أما الغضب فهو أحمق طائش أبله، ومن البلاهة تنشأ الحدّة ومن الحدّة الغيظ، ومن الغيظ الحنق، ومن الحنق الحقد. هذا الحقد الناشئ من شرور عديدة يصبح القدّيس إغناطيوس مثالٌ لكلّ أسقف ولكلّ مسيحيّ مدعوّ للشهادة، لذلك لا بدّ لنا من التمثّل به والإقتداء بسيرته الشريفة، وبذلك نقتني المسيح ونتّحد به.

الجسد

إعتبر كثيرون على مرّ التاريخ أنّ الجسد دنسٌ، أو أقلّ شأنًا من الروح، أو حتّى سجنٌ للروح التي سُجنت فيه عقابًا لها على خطاياها. رفضت الكنيسة كلّ هذه النظريّات، لأنّها اعتبرت أنّ الله خلق الإنسان منذ البدء على صورته ومثاله، أي إنّ صورة الله هي في الإنسان بكلّيّته، جسدًا وروحًا. كما أنّ الله خلق الجسد في البدء من التراب، ثمّ خلق الروح عندما نفخ في أنف الإنسان نسمة حياة، ما يدلّ على أنّ الجسد سبق الروح في الوجود، وليس كما ادّعى البعض بأنّ الأرواح خُلقت قبل الأجساد وعوقبت عبر سجنها فيها. الغاية من هذا الكلام أن نحاول فهم العلاقة بين الجسد والروح بشكل أدقّ علّ هذا يساعدنا في جهادنا لنحيا بحسب ما يرضي الله.

يطلب منّا الرسول بولس، في رسالة اليوم، أن نُميت أعضاءنا التي على الأرض، ثمّ يعدّد هذه الأعضاء: الزنى، النجاسة، الهوى، الشهوة الرديئة، والطمع الذي هو عبادة وثن. هذه الأعضاء التي سمّاها الرسول ليست أعضاء محدّدة في الجسد، لكنّها خطايا يمارسها الجسد. المقصود هنا أنّ هذه الأمور هي أعضاء في الإنسان العتيق، ويدعونا الرسول أن نخلعه مع كلّ أعماله وأن نلبس الإنسان الجديد الذي يتجدّد للمعرفة حسب صورة خالقه. لقد خلعنا الإنسان العتيق ولبسنا الجديد في المعموديّة، لكنّ التجدّد هو عمليّة تستمرّ طول الحياة لأنّنا ننمو في معرفة الله دائمًا ولا حدود لهذا النموّ، إذ إنّ إلهنا هو غير محدود. ما يطلبه الرسول ليس أن نميت أعضاءً محدّدة في الجسد، بل أن نميت طريقة حياةٍ سابقة مليئة بالخطايا لنحيا حياة جديدة ملؤها برّ وقداسة.

نحن نختبر، في الجسد، الكثير من التناقضات: صحّة جسدنا تريحنا ومرضه يؤلمنا، قوّته تعطينا شعورًا بالكمال وضعفه يجعلنا نشعر بالثقل والمحدوديّة، جماله مصدر فخر وقلّة جماله سببٌ للخجل. أحيانًا كثيرة يكون الجسد خادمًا أمينًا يخضع لمنطقنا وإرادتنا، وأحيانًا أُخرى يجعلنا نخضع لثقل حاجاته، وفي كلّ ذلك نلاحظ الغموض الذي يلفّ علاقة روحنا بجسدنا. عندما نتأمّل ونركّز، قد نصل إلى حدّ نسياننا للجسد، وفي أوقات أُخرى ننسى الأمور الروحيّة لنؤمّن حاجات هذا الجسد. ما نأكله ونشربه، نومنا الزائد أو الناقص وغير ذلك من الأمور تترك أثرًا في نفوسنا. أحيانًا نشعر كأنّ هناك مسافة كبيرة بين جسدنا وروحنا عندما يشتهي الجسد ضدّ الروح (غل ٥: ١٧)، وفي الوقت نفسه ندرك تمامًا أنّه لا يمكن الفصل بينهما. هذا يدعونا إلى العمل على تحقيق التعاون والإنسجام بين الجسد والروح، الأمر الذي لا يمكن إتمامه إلّا عندما يصبح الجسد روحانيًّا، أي عندما نحيا في أجسادنا حياةً روحيّةً بحسب تعاليم الله. في المقابل، عندما تصبح النّفس جسدانيّة، أي ميّالة

إلى الخطايا، عندئذٍ لا يمكن أن يرتاح الإنسان لأنّ في داخله توقًا إلى الخير والصلاح والكمال لا يتلاءم مع عيشه في الخطايا.

تكمن أهمّيّة الجسد في كونه المكان الذي نقيم فيه علاقة مع الآخرين. في الجسد نلتقي الآخر، والآخر يلتقي بنا. في جسدنا يكتسب الآخرون معرفةً أوّليّة عن شخصيّتنا وعن طبعنا. يستطيع جسدنا أن يكشف حقيقتنا للآخر أو أن يخفيها عنه. يلاحظ الآخرون في جسدنا مظهرنا الخارجيّ قبل أن يكتشفوا حقيقتنا العميقة الداخليّة. نظرتنا وحكمنا اللّذان نبديهما على مظهر الآخر الخارجيّ يستطيعان أن يزعجاه، أو أن يحرّكا فيه شعورًا بالأهميّة والرّجاء. إنّنا، بمظهر جسدنا، وبالأخصّ وجهنا الذي هو المركز الأول للتعبير، وعبر العينَين اللّتين تتوسّطانه، نستطيع أن نجذب الآخر، وأن نوحي إليه بالتعاطف، وأن نحرّك فيه الحبّ، أو في المقابل نستطيع أن نحرّك فيه النفور أو الكراهية. مظهرنا الفريد يُظهر مباشرةً الفرق بيننا وبين الآخر، وقد يكون هذا الإختلاف عائقًا أمام التواصل أو التفاهم المتبادل، لكنّه في الوقت ذاته يشكلّ الدافع للإستكشاف والتبادل مع الآخر. ربّنا، بالجسد الذي اتّخذه، تفاعل مع الأبرار والخطأة، مع الكبار والصغار، مع الرجال والنساء، ذلك لكي يمنح الخلاص للمؤمنين به، الذين يعتمدون بالمسيح ويغتذون من جسده ودمه.

يدعونا كلُّ ما سبق إلى التأمّل في العلاقة التكامليّة بين الجسد والروح. لا ننبذنّ الجسد كجزء شرّير فينا، ولا نجعلنّ الجسد عبداً للشهوات متناسين الروح. الجسد مدعوّ للقداسة مع الروح، فهو يستطيع أن يكون مرتعًا للأهواء أو مكانًا للقداسة عبر ممارسة الأصوام والصلوات والجهادات الروحيّة وأعمال الرحمة والفضائل المتنوّعة. لذا يدعونا الرسول بولس إلى عدم الخضوع للشهوات لأن أجسادنا هي هياكل للروح القدس: «كُلُّ الأشياءِ تَحِلُّ لي لكن ليس كلُّ الأشياءِ تُوافِقُ... ألستم تعلمونَ أنَّ أجسادكم هي أعضاءُ المسيحِ... أم لستم تعلمونَ أنَّ جسدكم هو هيكلٌ للروحِ القدسِ الذي فيكم الذي لكم من الله وأنَّكم لستم لأنفسكم لأنَّكم قد اشتُريتم بثمن. فمجِّدوا اللهَ في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله» (١ كو ٦: ١٢–٢٠). تعلّمنا كنيستنا أنّ ربّنا يسوع المسيح، عندما تجسّد، أخذ طبيعتنا البشريّة كلَّها ليقدّس الإنسان بجملته، جسدًا وروحًا، ذلك بحسب القول الآبائيّ: «ما لم يُتخَّذ (من طبيعتنا) لم يُشفَ»، أي إنّ الربّ اتّخذ كامل طبيعتنا ليشفيها بجملتها. فلنجعل من أجسادنا ونفوسنا المكانَ الذي فيه تُختبر مشيئةُ الله، التي هي قداستنا (١تس ٤: ٣)، وما القداسة سوى أن نكرّس حياتنا لله عبر الإبتعاد عن كلّ ما يبعدنا عن الله.

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

أو

www.quartos.org.lb

خطيئة جسيمة مستعصية. عندما تأتي كل هذه الأرواح وتسكن في الإناء ذاته حيث يقطن الروح القدس، لا يستطيع الإناء أن يحويها كلها فيطفح. الروح الوديع الذي لم يعتد البقاء مع روح شرير ولا مع القسوة، يبتعد عن مثل هذا الرجل ويسعى إلى السكنى مع الوداعة والهدوء. لكنه عندما يبتعد عن الرجل الذي كان يسكن فيه، يفرغ هذا الرجل البارّ ويمتلئ من الأرواح الشريرة، فيختلّ في جميع أعماله وتتنازعه الأرواح الشريرة، فيصاب بالعمى بعيداً عن التفكير السليم. هذا ما يحدث لجميع الذين يميلون إلى الغضب.

إمتنع إذاً عن الغضب، هذا الروح الشرير، وتدرّع بالصبر وقاوم الغضب والحدّة فترافقك القداسة التي يحبها الرب. واحرص على ألّا تهمل هذه الوصية لأنّك إذا توصّلت إلى حفظها يمكنك كذلك المحافظة على الوصايا الأخرى التي سأفرضها عليك. فتسلّح لها بالقوّة والعزيمة، وكذلك جميع الذين يريدون السير في هذه الطريق».